

# مفهوم الغزو الفكري ونشأته

## الغزو الفكري

إعداد / محمد الجوهري

قسم الدعوة وأصول الدين

كلية العلوم الإسلامية – جامعة المدينة العالمية

شاه علم - ماليزيا

waleed.eltantawy@mediu.edu.my

خلاصة— هذا البحث يبحث في مفهوم الغزو الفكري ونشأته.

الكلمات المفتاحية: الغزو، الفكر، النشأة.

### I. المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، أما بعد أخي الطالب، سلام من الله عليك ورحمة منه وبركات، ومرحباً بك في سلسلة الدروس المقررة عليك في إطار مادة الغزو الفكري، لهذا الفصل الدراسي، آمليين أن تجد فيها كل المتعة والفائدة، وفي هذا الدرس نتعرف على مفهوم الغزو الفكري ونشأته.

### II. موضوع المقالة

المفهوم اللغوي لكلمة: "الغزو الفكري": يرتبط بالمتعارف عليه: أن الغزو يرتبط بالمفهوم العسكري، بالقوات المسلحة. يرتبط بالصاروخ، المدفع، الطيارة، الدبابة. ويكون هدفه: احتلال الأرض، وطرد شعب من موطنه ليحتل هذه الأرض شعباً آخر. هذا هو مفهوم الغزو. لكننا لاحظنا في النصف الثاني من القرن العشرين ظهور مصطلح "الغزو الفكري"، بمعنى: أن مواقف أعداء الإسلام تبدلت وتغيرت، وأرادت أن تبدأ أولاً بغزو العقول، غزو الفكر؛ لتحتل عقل الإنسان؛ ليكون ذلك مقدمة تمهيدية لاحتلال أرضه بعد أن يكون المستعمر أو الغازي قد جرد عقله من جميع المفاهيم التي تتعلق بثقافته الأصلية، بدينه، بترائه، وحل محلها مفاهيم أخرى لثقافة أخرى. عملية إحلال وتبديل، أو كما يسميها البعض: عملية غسل مخ، غسل العقول من جميع الموروث العنقدي، والإسلامية، والحضارية، والثقافية، وإحلال مفاهيم أخرى محلها أو بدلاً منها.

أدوات الغزو الفكري:

هذه المفاهيم هي مفاهيم استعمارية معادية للإسلام، ولذلك إذا كان الغزو العسكري يستخدم السلاح، يستخدم المدفع وال طيارة والدبابة، فإن الغزو الفكري يستخدم الكلمة، يستخدم الفكرة، يستخدم المفاهيم العقلية أو الموروث العقلية؛ لأن خطر الكلمة في هذا اللون من المواجهة أخطر بكثير من خطر الدبابة والمدفع. لماذا؟ لأن الاستيلاء على العقول هو المقدمة الطبيعية للاستيلاء على الشخص، على الإنسان. فإذا ما استطعنا أن نحتل عقل الإنسان فكرياً وثقافياً وحضارياً، سنهمل علينا بعد ذلك أن نوجه أفعال الإنسان، وأن نوجه سلوك الإنسان نحو ما نريد. ولذلك فإن أعداء الإسلام قد سلخوا هذا المسلك ونهجوا هذا النهج نحو الاستيلاء على العقول، ليو جهوا الشعوب الإسلامية - وبخاصة المشتغلين بالكلمة والمشتغلين بالثقافة. نحو اعتقاد مفاهيم معينة، وثقافة معينة، وحضارة معينة، وفوقية لنجنس معين، ليوجهوا بها المفاهيم الإسلامية، والعقائد الإسلامية، والسلوك الإسلامي في شتى أنحاء العالم الإسلامي.

وهذا الأمر يستدعي منا أن نتناول قضية الغزو الفكري تناولاً تاريخياً لنعرف متى بدأ؟ وكيف بدأ؟ وما هي أساليبه؟ وما هي أهدافه، طيلة هذه الأحقاب عبر تاريخ الإسلام كله؟ هذه المقدمة بيتاً خلالها مفهوم الغزو الفكري.

نشأة الغزو الفكري:

بداية المواجهة بين الإسلام وخصومه:

إذا طرحنا سؤالاً الآن: متى بدأ الغزو الفكري؟

إن هذا المصطلح بدأ متأخراً، ربما في النصف الثاني من القرن العشرين؛ لكن المواجهة بين الإسلام وبين خصومه لم تكن قاصرة على ظهور هذا المصطلح، ولا متوقفة على ظهوره تاريخياً، وإنما تمتد هذه المواجهة لترتبط بتاريخ الإسلام كله منذ أيام الرسول

صلى الله عليه وسلم مواجهة الإسلام بحملات تدرج تحت هذا المفهوم: "الغزو الفكري". هذه الحملات تضمنت أحياناً التشكيك في نبوة الرسول صلى الله عليه وسلم تضمنت التشكيك في القرآن الكريم، وهل هو وحى سماوي؟ أم هو من عند الرسول صلى الله عليه وسلم؟ هل هو الهى المصدر؟ أم بشري المصدر؟ تضمنت أيضاً التشكيك في السنة النبوية. وتضمنت التشكيك في جيل الصحابة { وهم الذين حملوا لنا ونقلوا إلينا النص القرآني، ونصوص السنة النبوية المطهرة.

وكان الهدف من التشكيك في جيل الصحابة بالذات هـ: محاولة التشكيك فيما نقلوه عن الرسول صلى الله عليه وسلم سواء كان كتاباً أو سنة نبوية مطهرة. فكان قضية الغزو الفكري أو المواجهة الفكرية للإسلام، لم تقتصر على ظهور المصطلح في النصف الثاني من القرن العشرين، وإنما امتدت لتبدأ مع البدايات الأولى لتاريخ الإسلام. نماذج التشكيك في صدر الإسلام:

وجدنا البدايات الطبيعية للغزو الفكري تتمثل في مواقف معينة، خاصة مع اليهود الذين واجهوا الرسول صلى الله عليه وسلم في المدينة المنورة. ربما في العهد المكي لم يظهر النفاق، وإنما كانت المواجهة صريحة وواضحة مع الرسول صلى الله عليه وسلم ومن هنا لا تُعتبر الفترة المكية بداية لوجود ما يسمى بالغزو الفكري. إنما الفترة المدنية أو العهد المدني هو الذي شهد البدايات الأولى لظهور المواجهة الفكرية للرسول صلى الله عليه وسلم وللإسلام ديناً وعقيدة وشرعية.

وكان من أوائل ما ظهر في هذا العهد المدني: بعض الأسئلة طُرحت على الرسول صلى الله عليه وسلم لا يقصد العلم، ولكن يقصد التشكيك. سئل صلى الله عليه وسلم من اليهود عن الروح ما هي؟ وسئل صلى الله عليه وسلم عن الذات الإلهية من اليهود أيضاً. قالوا له: "صف لنا ربك! أمن ذهب هو؟ أم من فضة؟!"

ظهر النفاق في المدينة، وكانوا يجلسون بعضهم مع بعض، ويتآمرون حول لقاء الرسول صلى الله عليه وسلم هل يؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون ببعض؟ هل يجلسون معه في الصباح يستمعون منه القرآن، ثم يجلسون في آخر النهار يكفرون بما آمنوا به أول النهار؟ هذه كلها مواقف واجه بها اليهود الرسول صلى الله عليه وسلم في العهد المدني. لكن من الأمور التي يمكن أن نحدد من خلالها المنطلق التاريخي لهذه المواجهة الفكرية، نتلمسها في موقف اليهود أيضاً على يد أحد رجال اليهود الذين ظهروا في عصر الخلفاء الراشدين وهو: عبد الله بن سبئ.

عبد الله بن سبئ هذا كان من يهود اليمن، وإن كان البعض يشكك في هذه الشخصية، ويرى أنها شخصية وهمية؛ لكن التاريخ أثبت وجود هذه الشخصية، وأثبت آثارها السنية في تاريخ الحضارة، وتاريخ الفكر الإسلامي كله.

ظهر عبد الله بن سبئ وهو يحمل في ذهنه وفكره العداء للإسلام، وللقرآن الكريم، وللسنة النبوية المطهرة. وبدأ يلتفت حول الصراعات أو الخلافات التي نشأت في عصر الخلفاء الراشدين، ويستثمرها لصالحه، مثل: الخلاف الذي نشأ في عصر الخليفة الراشد عثمان بن عفان استثمر هذا الخلاف ليؤسس على أثره أهم وأخطر فرقة تبنت المواجهة الصريحة للإسلام من خلال استغلال عواطف المسلمين نحو آل بيت النبي صلى الله عليه وسلم ونحو الإمام علي ونحو ولديه الحسن والحسين، ونحو بنت الرسول صلى الله عليه وسلم السيدة فاطمة الزهراء.

نسج عبد الله بن سبئ كثيراً من الأساطير والآراء والأفكار المزيفة، ونسبها إلى الإمام علي < ووصفه بصفات النبوة، وأحياناً بصفات الألوهية. وبدأ يلتفت حوله مجموعة من يهود اليمن، وأطلقوا على أنفسهم اسم: "الشيعية". أي: شيعه علي < وبدأ يلتفت حولهم بعض السذج من المسلمين، وتولى كبر هذه القضية وباع بإثمها عبد الله بن سبئ، أحياناً يتناول النصوص القرآنية بتأويلات وتحريفات لا أصل لها لا في اللغة ولا في التنزيل الحكيم. وتأسس ابتداءً من هذا الرجل ما يمكن أن نسميه أحياناً: حزباً سياسياً، وأحياناً: فرقة من فرق المتكلمين وهي: فرقة "الشيعية" التي خرج من بطنها أخطر فرقتين واجهتا الإسلام مواجهة فكرية: فرقة "الباطنية"، وفرقة "القرامطة".

١٧- عطا، أحمد عبد الغفور، (الماسونية)، رابطة العالم الإسلامي، ١٩٧٨م.  
١٨- السقا، محمد صفوت، (الماسونية)، رابطة العالم الإسلامي، ١٩٨٢م.  
١٩- العواجي، غالب بن علي، المذاهب الفكرية المعاصرة دورها في المجتمعات، وموقف المسلم منها)، المكتبة العصرية الذهبية، ٢٠٠٦م.

ولكن قبل أن أتكلّم عن فرقتي: البيطانية والقرامطة، من المهم: أن يبيّن أيضًا أنّ اليهود لم يكونوا وخدمهم الموجودين في الساحة لمحاربة الإسلام محاربة فكرية، ولكن كان هناك أيضًا الطرف الآخر الذين نسميهم: أهل الكتاب من النصارى.

إذا كان اليهود تجسّدت مؤامراتهم في عبد الله بن سبأ، وما نشأ عنه من فرق مغالية محرّفة للكتاب والسنة، فإنّ النصارى تبنوا أيضًا المواجهة الفكرية للإسلام من خلال التشكيك في أهمّ أصول الاعتقاد وهي: قضية القرآن الكريم، وقضية التوحيد، تبنّى هذه القضية في العصر الأموي رجل من رجال الكنيسة القبطية كان يعمل في بلاط بني أمية يُسمّى: يوحنا الدمشقي.

هذا الرجل بعد أن انتشر الإسلام شرقًا وغربًا، وبسط سلطانه على كثير من أنحاء المعمورة أيقن تمامًا أنه لا سبيل إلى المواجهة المباشرة لمحاربة الإسلام، وإنما فضل أو أثر أن يواجه الإسلام بإثارة كثير من الشكوك والشبهات حول العقيدة الإسلامية؛ فوضع رسالة هي من أوائل ما وصل إلينا من أسلوب المواجهة الثقافية بين الإسلام وخصومه - خاصة النصارى- في هذا اللون من المواجهة بالذات.

هذه الرسالة وضعها يوحنا الدمشقي على شكل حوار بين مسلم ونصراني، وأخذ فيها بمنهج: إذا سألك مسلم عن كذا فأجبه بكذا وكذا، وإذا واجهك مسلم فاسأله عن كذا وكذا . وكان مما أثاره في هذه الرسالة : قضية خلق القرآن . هذه المشكلة ظهرت من خلال محورين: هذا المحور الذي نتحدّث عنه الآن، والمحور الثاني ربما أرجعه بعض المؤرخين إلى الجعد بن درهم، أو إلى غيره من اليهود الذين تكلموا في الصفات الإلهية، وتناولوا من خلالها الحديث عن كلام الله، أو عن القرآن الكريم . لكن الذي يهمني هنا هو: مواجهة يوحنا الدمشقي للقرآن الكريم بإثارة الشكوك حول كلام الله : هل هو قديم، أم حادث؟ تناول هذه القضية في شكل حوار بين مسلم ومسيحي.

تقول الرسالة على لسان نصراني : عليك أن تسأل المسلم : أليس يؤمن بأنّ عيسى كلمة الله ألقاها إلى مريم؟ فيقول المسلم: بلى؛ لأن القرآن الكريم يقرّر أن عيسى كلمة الله ألقاها إلى مريم. أليس يؤمن المسلم بأنّ القرآن كلام الله؟ فيقول المسلم : نعم القرآن كلام الله. إذا كنتم تؤمنون بأنّ عيسى كلمة الله، ولا تقولون بأنّ عيسى إله، وإنما تقولون : هو بشر ومخلوق وهو كلمة الله؛ فيكون كلام الله م خلوقًا. ووضع هذه القضية في شكل قياس منطقي: عيسى كلمة الله وهو مخلوق، والقرآن كلام الله؛ إنّه يكون القرآن - كلام الله- مخلوقًا! وحاول أن يثير هذه الفتنة بين المسلمين . وقد أفلح إلى حد كبير في إثارة هذه القضية التي فرقت كلمة المسلمين، وامتّحن بسببها الإمام أح مد بن حنبل في العصر العباسي، وما زال المسلمون يكتفون بنار هذه الفتنة إلى الآن. إذا قضية إثارة الشبهات والشكوك، ومحاولة غزو المسلمين أو غزو الإسلام من الداخل، بدأت منذ التاريخ المبكر، كما وجدنا الآن في عصر الخلفاء الراشدين عبد الله بن سبأ، وفي العصر الأموي يوحنا الدمشقي.

#### المراجع والمصادر

- ١- الميداني، عبد الرحمن حسن ، (أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها)، دار القلم ١٩٩٠م.
- ٢- الميداني، عبد الرحمن حسن ، (أسس الحضارة الإسلامية ورسائلها)، دار القلم ١٩٨٠م.
- ٣- كونيوي زيفلر، (أصول التنصير في الخليج العربي : دراسة وثائقية)، ترجمة: مازن صلاح مطبقاني، مكتبة ابن القيم ١٩٩٠م.
- ٤- جريشة، علي، (الاتجاهات الفكرية المعاصرة )، دار الوفاء للطباعة والنشر ١٩٩٠م.
- ٥- حسين، محمد محمد، (الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر)، دار الرسالة ١٩٩٣م.
- ٦- الفيومي، محمد إبراهيم، (الاستشراق رسالة استعمار)، دار الفكر العربي ١٩٩٣م.
- ٧- السباعي، مصطفى، (الاستشراق والمستشرقون، ما لهم وما عليهم )، المكتب الإسلامي، ١٩٧٩م.
- ٨- زقوق، محمود حمدي، (الإسلام والاستشراق)، دار القلم العربي ١٩٩٤م.
- ٩- شليبي، عبد الجليل، (الإسلام والمستشرقون)، دار الشعب ١٩٧٧م.
- ١٠- الطهطاوي، محمد عزت، (التبشير والاستشراق)، الزهراء للإعلام العربي، ١٩٩١م.
- ١١- خالد، مصطفى، (التبشير والاستعمار في البلاد العربية )، وعمر فروخ، المكتبة العصرية، ١٩٨٦م.
- ١٢- عبد العزيز العسكر ، (التنصير ومحاولاته في بلاد الخليج العربي)، مكتبة العبيكان، ١٩٩٣م.
- ١٣- علي عبد الحليم محمود، (الغزو الفكري والتيارات المحاربة للإسلام )، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المجلس العلمي، ١٤٠٤هـ.
- ١٤- السايح، أحمد عبد الرحيم، (الغزو الفكري)، سلسلة كتب الأمة، الدوحة، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، ١٤١٤ هـ.
- ١٥- البهي، محمد، (الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار)، دار الفكر، ١٩٧٠م.
- ١٦- الزعبي، محمد علي، (الماسونية في العراق )، مؤسسة مطابع معتوق، ١٩٧٥م.